المبحث الرابع

معجزات الأنبياء

تمهيد:

المعجزة، كما عرفها الإمام السفاريني رحمه الله، هي: «ما خرق العادة من قول أو فعل، إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء، بحيث لايقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربها»(١).

فالله سبحانه وتعالى أيد أنبياءه بالآيات الدالة على صدقهم فيما جاءُوا به من عند ربهم.

يقول الشيخ الأمين رحمه الله: «وما أرسل الله من رسول إلا مصحوباً بالمعجزات التي تصدقه وتؤيده. وقد بين ذلك الصادق المصدوق بقوله، صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله به إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً»(٢)، وهو صريح أنه ما أرسل الله رسولاً إلا أيده بما يدل على صدقه، كما قال تعالى: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾(٤). والآيات في ذلك كثيرة

(١) لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ٩٧. ومسلم في الصحيح ١/ ١٣٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية [١٠١].

(٤) سورة الحديد، الآية [٢٥].

جداً»[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «إن من آياته التي يريها بعض خلقه: معجزات رسله؛ لأن المعجزات آيات؛ أي دلالات وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى﴾[2]. وبين في موضع آخر أن من آياته التي يريها خلقه: عقوبته المكذبين رسله؛ كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط: ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾[3] وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل... إلخ: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾[4]»[5].

وسوف أذكر بعض معجزات الأنبياء عليهم السلام، التي تطرق إلى ذكرها الشيخ الأمين ـ رحمه الله ـ بادئاً بمعجزات نبينا عليه السلام.

---

(١) معارج الصعود ص ١٤١-١٤٢.
(٢) سورة طه، الآية [٥٦].
(٣) سورة العنكبوت، الآية [٣٥].
(٤) سورة الأعراف، الآية [١٣٣].
(٥) أضواء البيان ٧/ ٧٥.

المطلب الأول

من معجزات رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم

أولاً: القرآن الكريم:

هو معجزة رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الباقية الخالدة الذي لاتنقضي عجائبه؛ قال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾(١).

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى أن الله جل وعلا تحدى العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين﴾(٢): «صرح تعالى في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن لايكون مفترى من دون الله مكذوباً به عليه، وأنه لاشك في أنه من رب العالمين جل وعلا، وأشار إلى أن تصديقه للكتب السماوية المنزلة قبله، وتفصيله للعقائد والحلال والحرام ونحو ذلك، مما لاشك أنه من الله جل وعلا: دليل على أنه غير مفترى، وأنه لاريب في كونه من ربّ العالمين. وبين هذا في مواضع أخر، كقوله: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾(٣)، وقوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾(٤)، وقوله: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾(٥)، والآيات في

(١) سورة فصلت، الآية [٤٢].
(٢) سورة يونس، الآية [٣٧].
(٣) سورة يوسف، الآية [١١١].
(٤) سورة الشعراء، الآيتان [٢١٠-٢١١].
(٥) سورة الإسراء، الآية [١٠٥].

مثل ذلك كثيرة. ثم إنه تعالى لما صرح هنا بأن هذا القرآن ما كان أن يفترى على الله وأقام البرهان القاطع على أنه من الله؛ فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله. ولاشك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق على الإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين والعلم الضروري أنه من الله جل وعلا. قال جل وعلا في هذه السورة: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[1]، وتحداهم أيضاً في سورة البقرة بسورة واحدة من مثله، بقوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ الآية[2]، وتحداهم في هود بعشر سور مثله، بقوله: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾الآية[3]، وتحداهم في الطور به كله بقوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾[4]، وصرح في سورة بني إسرائيل بعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله بقوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[5] كما قدمنا، وبين أنهم لايأتون بمثله أيضاً بقوله: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾[6]»[7].

وقال رحمه الله أيضاً: «وبين جل وعلا هنا أن الإعجاز القرآني دليل قطعي وبرهان يقيني على صدق الوحي وصحة الرسالة: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله﴾[8]»[9].

(١) سورة يونس، الآية [٣٨].
(٢) سورة البقرة، الآية [٢٣].
(٣) سورة هود، الآية [١٣].
(٤) سورة الطور، الآية [٣٤].
(٥) سورة الإسراء، الآية [٨٨].
(٦) سورة البقرة، الآية [٢٤].
(٧) أضواء البيان ٢/ ٤٨٣-٤٨٤. وانظر المصدر نفسه ٢/ ٢٠٣.
(٨) سورة هود، الآية [١٤].
(٩) معارج الصعود، ص ٦٦.

وقال رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾[1]: «أي في الفصاحة، والبلاغة، وصدق الأخبار، وعدل الأحكام؛ فإن هذه الأمور مع ما يذكر الله من بدائع صنعه من إعجاز القرآن إذ لايتجرأ أحد أن يقول: أنا خلقت السموات والأرض، ونصبت الجبال إلا رمي بالجنون والسفه، بخلاف رب السموات والأرض جل وعلا»[2].

وقال رحمه الله أيضاً، عند تفسير قوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾[3]: «الإشارة إلى ما مضى من قصص نوح من دعوته قومه إلى عبادة الله، وعنادهم له، ومحاورته معهم في شأن أتباعه من المؤمنين، وصنعه السفينة، واستهزائهم به، وما جعل الله له من العلامة على إهلاكهم، وأمره له بحمل المؤمنين ومن كل الحيوانات زوجين في السفينة، وما كان من أمره مع ابنه، وعتاب الله له في ذلك، ورجوعه وتوبته إلى الله، ثم ما تبع ذلك من الخاتمة له ولقومه المؤمنين بالسلامة، والهلاك للكافرين؛ أي تلك القصص التي أخبرناك بها من الأمور التي هي غائبة عن الناس، وفي هذا أعظم معجزة للرسول، صلى الله عليه وسلم؛ حيث إنه أمي لايقرأ ولايكتب، وإذا به يخبر عن غرائب التاريخ التي مضى عليها آلاف السنين بضبط وإتقان، فليست إلا بوحي من الله جل وعلا»[4].

فيا له من معجزة خالدة على مر الأيام والدهور، لاتنقضي عجائبه، ولايمل مع التكرار.

ثانياً: الإسراء والمعراج:

الإسراء والمعراج من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم؛ أسرى به الله

---

(١) سورة هود، الآية [١٣].
(٢) معارج الصعود، ص ٦٦.
(٣) سورة هود، الآية [٤٩].
(٤) معارج الصعود، ص ١٣٠.

سبحانه وتعالى ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء، ووصل إلى سدرة المنتهى.

قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾[1].

وقد اختلف في كيفية الإسراء: هل هو بالروح، أم بالروح والجسد معاً؟ وهل كان ذلك يقظة أم مناماً[2]؟

وقد أشار الشيخ الأمين رحمه الله إلى هذا الاختلاف، ورجح أنه بجسده وروحه، يقظة لامناماً. وقد ذكر عدة مرجحات، فقال رحمه الله: «ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم، يقظة لامناماً؛ لأنه قال: ﴿بعبده﴾، والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولأنه قال: ﴿سبحان﴾، والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه. ويؤيده قوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾[3]؛ لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وقوله هنا: ﴿لنريه من آياتنا﴾[4]. ومن أوضح الأدلة القرآنية على ذلك: قوله جل وعلا: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن﴾[5]؛ فإنه رؤيا عين يقظة، لا رؤيا منام، كما صح عن ابن عباس وغيره. ومن الأدلة الواضحة على ذلك: أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة ولا سبباً لتكذيب قريش؛ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار؛ لأن المنام قد يرى فيه ما لايصح، فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب، فزعم المشركون أن من ادعى رؤية ذلك بعينه فهو كاذب لا

(١) سورة الإسراء، الآية [١].
(٢) راجع فتح الباري ٧/ ٢٣٧. وشرح الطحاوي ص ٢٤٥.
(٣) سورة النجم، الآية [١٧].
(٤) سورة الإسراء، الآية [١].
(٥) سورة الإسراء، الآية [٦٠].

محالة، فصار فتنة لهم. وكون الشجرة الملعونة التي هي شجرة الزقوم على التحقيق فتنة لهم أن الله لما أنزل قوله: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾[1]، قالوا: ظهر كذبه لأن الشجر لاينبت بالأرض اليابسة، فكيف ينبت في أصل النار. . . . وركوبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على البراق يدل على أن الإسراء بجسمه؛ لأن الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب كما هو معروف. وعلى كل حال: فقد تواترت الأحاديث الصحيحة عنه أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأنه عرج به من المسجد الأقصى حتى جاوز السموات السبع. وقد دلت الأحاديث المذكورة على أن الإسراء والمعراج كليهما بجسمه وروحه يقظة لا مناماً[2]، كما دلت على ذلك أيضاً الآيات التي ذكرنا. وعلى ذلك من يعتد به من أهل السنة والجماعة[3]، فلا عبرة بمن أنكر ذلك من الملحدين»[4].

ثم أجاب رحمه الله على حديث شريك، عن أنس رضي الله عنه، والذي فيه أن الإسراء كان مناماً، فقال رحمه الله: «وما ثبت في الصحيحين من طريق شريك، عن أنس رضي الله عنه أن الإسراء المذكور وقع مناماً[5] لاينافي ما ذكرنا مما عليه أهل السنة والجماعة، ودلت عليه نصوص الكتاب والسنة لإمكان أن يكون رأى الإسراء المذكور نوماً، ثم جاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فأسرى به يقظة تصديقاً لتلك الرؤيا

---

(١) سورة الصافات، الآية [٦٤].

(٢) انظر صحيح البخاري ١/ ٩١، ٨/ ٧٧. وصحيح مسلم ١/ ١٤٥ وما بعدها.

(٣) انظر: عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي ص ٨٠. ولمعة الاعتقاد ص ٢٤. وكلام الطحاوي في شرح الطحاوية ص ٢٤٥. والشريعة للآجري ص ٤٩٠. وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٠٩.

(٤) أضواء البيان ٣/ ٣٩١-٣٩٣.

(٥) حديث شريك أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٠٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٨.

المنامية؛ كما رأى في النوم أنهم دخلوا المسجد الحرام، فجاءت تلك الرؤيا كفلق الصبح، فدخلوا المسجد الحرام في عمرة القضاء عام سبع يقظة لامناماً، تصديقاً لتلك الرؤيا، كما قال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين..﴾ الآية[1]. ويؤيد ذلك حديث عائشة الصحيح: «فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[2]، مع أن جماعة من أهل العلم قالوا: إن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ساء حفظه في تلك الرواية المذكورة عن أنس، وزاد فيها ونقص، وقدم وأخر. ورواها عن أنس غيره من الحفاظ على الصواب، فلم يذكروا المنام الذي ذكره شريك المذكور[3]. وانظر رواياتهم بأسانيدها ومتونها في تفسير ابن كثير[4] رحمه الله تعالى؛ فقد جمع طرق حديث الإسراء جمعاً حسناً بإتقان»[5].

ثالثاً: إخباره عن ترك الإبل، وتعطيلها آخر الزمان:

ذكر الشيخ الأمين رحمه الله حديث أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد»[6].

ثم قال رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «ومحل الشاهد من هذا الحديث الصحيح: قوله صلى الله عليه وسلم: «ولتتركن القلاص فلا

(١) سورة الفتح، الآية [٢٧].
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣.
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٠٩-٢١٠. وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٤٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢-٢٢.
(٥) أضواء البيان ٣/ ٣٩٣-٣٩٤.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٦.

يسعى عليها»؛ فإنه قسم من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه ستترك الإبل فلا يسعى عليها. وهذا مشاهد الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة. وفي الحديث معجزة عظمى تدل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم. وإن كانت معجزاته صلوات الله عليه وسلامه أكثر من أن تحصر»[1].

وكما قال الشيخ الأمين رحمه ـ الله فإن معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصر، لكن لما لم يذكر الشيخ الأمين رحمه الله سوى هذه المعجزات، اقتصرت على ما ذكره رحمه الله.

(١) أضواء البيان ٣/ ٢١٩. وقال الشيخ رحمه الله قبل ذلك، في ص ٢١٨ عند قوله تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾: «وقد شوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالطائرات والقطارات والسيارات».

المطلب الثاني

من معجزات موسى عليه السلام

قال الشيخ الأمين رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾[1]: «قال بعض أهل العلم: هذه الآيات التسع هي: العصا، واليد، والسنون، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات[2]. وقد بين جل وعلا هذه الآيات في مواضع أخر؛ كقوله: ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين* ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾[3]، وقوله: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾الآية[4]، وقوله ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾[5]، وقوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾[6]، إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما ذكرنا. وجعل بعضهم الجبل بدل السنين[7]، وعليه فقد بين ذلك بقوله تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾[8]، ونحوها من الآيات»[9].

---

(١) سورة الإسراء، الآية [١٠١].

(٢) ذكره القرطبي عن ابن عباس، والضحاك، إلا أنه قال: «اللسان» بدل «السنون».

(٣) سورة الشعراء، الآيتان [٣٢-٣٣].

(٤) سورة الأعراف، الآية [١٣٠].

(٥) سورة الشعراء، الآية [٦٣].

(٦) سورة الأعراف، الآية [١٣٣].

(٧) ذكره القرطبي عن مالك. (انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٧).

(٨) سورة الأعراف، الآية [١٧١].

(٩) أضواء البيان ٣/ ٦٣٢. وانظر معارج الصعود ص ٢٣٥.

المطلب الثالث

من معجزات صالح عليه السلام

قال الشيخ الأمين رحمه الله، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾[1]: «الكلام يدل على أنهم اقترحوا عليه أن يأتيهم بمعجزة، وبالأخص الناقة؛ فقالوا: أخرج لنا ناقة عظيمة عشراء من الجبل أو الصخرة تدل على صدق دعواك الرسالة. فصلى ركعتين ودعا الله، فاضطربت الصخرة، حتى خرجت منها الناقة العشراء الجوفاء العظيمة، فكانت المواشي تشرد منها فتشرب جميع المياه، ويسقيهم كلهم من لبنها، واليوم الآخر تترك المياه فتستقي مواشيهم؛ كما قال تعالى: ﴿قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾[4]»[5].

وقال رحمه الله في موضع آخر: «فأخرج الله الناقة من تلك الصخرة معجزة لصالح، وفتنة لهم؛ أي ابتلاء واختباراً، وذلك أن تلك الناقة معجزة عاينوها، وأن الله حذرهم على لسان نبيه صالح من أن يمسوها بسوء، وأنهم إن تعرضوا لها بأذى أخذهم الله بعذابه»[6].

---

(١) سورة هود، الآية [٦٤].
(٢) سورة الشعراء، الآية [١٥٥].
(٣) سورة القمر، الآية [٢٨].
(٤) سورة الإسراء، الآية [٥٩].
(٥) معارج الصعود ص ١٦٢.
(٦) أضواء البيان ٧/ ٧٢١.

وقد ذكر الأمين رحمه الله أنها معجزة لكونها خرجت من الصخرة لا لكونها تشرب كل الماء، أو لكثرة لبنها.

وذكر رحمه الله أيضاً، أن قوماً يزعمون أن فصيل الناقة هو الدابة التي تخرج آخر الزمان، ثم بين عدم صحة ذلك، فقال: «وكل ذلك قصص لامعول عليها، ولاثبوت لها، والله أعلم بقصة الفصيل؛ لأن القرآن لم يبين ما كان مصيره، ولم يبينه. ولم يثبت خبره بوحي صحيح، وإنما هي روايات يحكيها المؤرخون والمفسرون»[1].

(٢) ذكره رحمه الله في الشريط رقم [٣]، من تفسير سورة الأعراف، عند تفسير قوله تعالى: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ (الأعراف، الآية ٧٣).